تاريخ الإسلام والمسلمين في إسبانيا: تدبير الاختلاف وتحدي التعايش

د. محمد ظهيري •

DOI : 10.12816/0055665

ملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع الإسلام والمسلمين في إسبانيا وكيفية تدبير الدولة الإسبانية للاختلاف والتعدد الديني. فبعد تقديمنا للموضوع في علاقته بالهجرة، حاولنا التطرق إلى العلاقة الوثيقة بين الإسلام وإسبانيا منذ الفتح الإسلامي للأندلس (711) إلى يومنا هذا (2019). كما تناولنا حرية التدين والمعتقد في إطار المنظومة القانونية الإسبانية منذ المصادقة سنة 1967 على أول قانون إسباني يعترف بحرية المعتقد وينظم حرية العبادة وعلاقات الدولة مع كل الديانات. كذلك تناولنا بالدراسة والتحليل واقع المسلمين والإسلام في إسبانيا.

ونظرا لعلاقتها الوطيدة بموضوع بحثنا، فقد خصصنا حيزا مهما منه لإشكالية الاندماج والتعايش ومعيقاته. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات بهدف بناء جسور

• أستاذ باحث بقسم الدراسات العربية والإسلامية بكلية علوم اللغات بجامعة كومبلوتينسي - مدريد (إسبانيا).

التقــارب والتفاهــم والحوار والتعايش بين المسلمين وباقي الديانــات والثقافات في إسبانيا، من بينها:

- تبنــى تدابــير تربوية وتثقيفيــة بتنسيق مع جمعيــات المجتمع المدني والمنظمــات التطوعية لمكافحة واستئصال التمييز والخطاب العنصرين وجرائم الكراهية ضد المسلمين .
- استعادة الماضي التاريخي لإسبانيا، مع إبراز مساهمة الإسلام كثقافة وكحضارة في تقدم ورقي إسبانيا وأوروبا، وعبرهما، الإنسانية جمعاء.
- تحفيــز وتشجيع مشاريع ومبــادرات «الدبلوماسية الثقافية» بــين إسبانيا والدول العربية-الإسلامية بهدف تعريف المواطنين الإسبان بالمسلمين والإسلام، شعوبا وثقافة وحضارة.
- تنظيــم جمعيــات المسلمين في إسبانيــا واتحاداتهم لحمــلات توعية وتحسيــس للمسلمين الإسبــان ومــن أصــول مهاجــرة بأهميــة العيش المشــترك مع باقــي الديانــات والثقافات في إسبانيــا، وكــذا الإشراف على دورات تكوينيــة لأئمة المساجد، بدءا مــن تعليمهم اللغة الإسبانيــة وتذكيرهم بأهمية وقيمة التعايش في الإسلام، ثم تكوينهم في المجالات التي لها علاقة باحترام التعدد الديني وتجنب الخطاب المحرض على العنف والكراهية.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، الإسلام في إسبانيا، المسلمون في إسبانيا، الإسلاموفوبيا، تدبير الاختلاف، التعايش.

1. التعدد الديني في إسبانيا: الهجرة تعيد تشكيل الخريطة الدينية لإسبانيا

تحولــت إسبانيــا في ظرف وجيز من بلد مُصَــدِّر للهجرة إلى بلد مُسْتقبل لهــا. فبينما لا يزال 2.305.030 مهاجــر إسبــاني خارج بلدهــم الأصلي[1]، أصبحــت إسبانيا، منــذ أواخر ثمانينيات

(1) وفقًا لبيانات المعهد الوطني للإحصاء (INE)، اعتبارًا من 1 يناير 2016، تم تسجيل 305،030،20 من الإسبان في السجلات القنصلية الإسبانية، مما يمثل زيادة قدرها 5.6 % مقارنة بنفس التاريخ لسنة 2015، في حين يعيش 02،183،043 إسبان في الخارج. إذا أخذنا كمرجع عام 2009، عندما بدأ هذا المركز العمومي في نشر هذه المعلومات، حينما امتدت آثار الأزمة إلى إسبانيا، فإن عدد الإسبان الذين هاجروا خارج إسبانيا ارتفع إلى 56.6 %. للمزيد من المعلومات يمكن العودة الملف الخاص الذي أعدته جريدة «البايس» الإسبانية والمنشور بالنسخة الورقية ليوم 17 مارس-آذار 2016. كذلك يمكن الاطلاع عليه في النسخ الاليكترونية في الرابط التالي:
http://politica.elpais.com/politica/201616/03//actualidad/1458145510_786597.html
[آخر تصفح: 2019/12/22]

القرن الماضي، وجهة مفضلة للمهاجرين من البلدان النامية، خاصة من أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا وأوروبا الشرقية. فوفقًا لأحدث البيانات الصادرة عن مرصد الهجرة الإسباني (OPI)، فإن عدد الأجانب الحاملين في إسبانيا لرخصة إقامة سارية المفعول في تاريخ 2019/01/01 هو 5.424.781. من هذا المجموع 60.4 % منهم، أي ما مجموعه 3.274.854 أجنبيًا، يصنفون، وفقًا لنوع النظام القانوني المطبق عليهم، مواطنون أوروبيون أو مواطنون حاملون لجنسية أحدى الدول الأربع المنتمية للمنظمة الأوروبية للتبادل الحر[1]، و39.6 % (2،149،927) المتبقون يصنفون داخل ما يسمى بالنظام العام، أي مواطنون غير أوروبيين أو غير حاملين لجنسية أحدى الدول الأربع المنتمية للمنظمة الأوروبية للتبادل الحر [2].

يمثل المغاربة المقيمون في إسبانيا، والذين يصل عددهم إلى 991.877 نسمة، أهم جنسية لبلد خارج الاتحاد الأوروبي والجنسية الثانية، بعد رومانيا (1،054،458 نسمة)، إذا تم تضمين الأجانب من الدول أعضاء الاتحاد الأوروبي، ويمثلون 14.49 % من السكان الأجانب المقيمين في إسبانيا (5،424،781 نسمة)[3] و1.67 % من السكان الإسبان (46،934،632 نسمة)[4] (الجدول 1).

(1) نظام حرية الحركة في الاتحاد الأوروبي هو نظام الهجرة القانوني الذي يُطبّق على مواطني الاتحاد الأوروبي وبلدان رابطة التجارة الحرة الأوروبية (AELE /EFTA)× وعلى أفراد أسرهم وأقاربهم، كما يطبق على أقارب المواطنين الإسبان من دول خارج الاتحاد الأوروبي وبلدان رابطة التجارة الحرة الأوروبية.

(×) تتكون رابطة التجارة الحرة الأوروبية (AELE /EFTA) من أيسلندا وليختنشتاين والنرويج وسويسرا.

(2) النظام العام هو النظام القانوني الذي يطبق على رعايا الدول التي لا تنتمي إلى الاتحاد الأوروبي ورابطة التجارة الحرة الأوروبية (AELE /EFTA).

(3) OPI, Extranjeros residentes en España 31 de diciembre de 2018. Principales resultados, Madrid: Ministerio de Trabajo. Ministerio de Trabajo, Seguridad Social y Migraciones, 2019.

(4) وفقًا للبيانات الرسمية الصادرة عن المعهد الوطني للإحصاء (INE) اعتباراً من 2019/06/25. يمكن الاطلاع عليها في المصدر:
http://www.ine.es/dyngs/INEbase/es/operacion.htm?c=Estadistica_C&cid= 1254736176951&menu=ultiDatos&idp=1254735572981

[آخر تصفح: 2019/12/22]

جدول رقم (1)
الأجانب الحاملون لرخصة إقامة سارية المفعول في تاريخ 2019/01/01
(الجنسيات الرئيسية)

	2020/01/01	% نساء	متوسط العمر (سنوات)
المجموع	5.424.781	% 47,7	38,5
الجنسيات			
رومانيا	1.054.458	% 46,9	36,6
المغرب	786.058	% 43,7	31,8
المملكة المتحدة	330.911	% 49,6	53,1
إيطاليا	302.102	% 43,1	39,6
الصين	218.219	% 48,5	32,6
بلغاريا	195.950	% 47,0	39,7
ألمانيا	169.661	% 52,0	47,9
البرتغال	165.543	% 36,4	42,0
فرنسا	159.210	% 50,4	42,0
الإكوادور	157.271	% 44,6	37,5
كولومبيا	126.494	% 54,1	39,5
بولونيا	100.401	% 52,0	38,4
بوليفيا	91.147	% 55,8	35,7
أوكرانيا	90.362	% 56,7	40,1
باكستان	82.805	% 31,7	32,1

المصدر: أعددنا هذا الجدول إستنادا إلى الإحصائيات الواردة في التقرير التالي:

OPI، Extranjeros residentes en España 31 de diciembre de 2018، Principales Ministerio de Trabajo، Ministerio de Trabajo، Seguridad Social y Migraciones، 2019.

وصول 5.424.784 مهاجر إلى إسبانيا على مدار العقود الثلاثة الماضية أعاد تشكيل الخريطة الدينيــة لإسبانيا وحولها إلى بلد أكـثر تنوعًا وأكثر تعددية، وأكثر ثراءً على مستوى تعدد الثقافات المتواجـدة في مختلـف مناطقها. هـذا الوضع الجديـد، وخصوصا بعد النقاش الـذي رافق بعض المشـاكل التـي عرفتها بعض المؤسسات التعليمية، متعلقـة بطبيعة لباس التلميـذات[1] أو الأغذية المقترحـة في المطاعم المدرسية[2]، أبان أن إسبانيا تحتاج إلى سياسات جديدة لإدارة التعايش بين مختلف الأديان والمعتقدات لما يزيد عن 47 مليون نسمة من ساكنته، إسبان ومهاجرون .

وفقًـا لنتائج آخـر دراسة أجراها المركز الإسباني للبحـوث الاجتماعية (CIS) في شهر ماي-أيـار من سنة 2019، صرح 68.6 % ممـن تم استجوابهم أن «ديانتهم كاثوليكية» و2.9 % كـ«أتباع لجماعـات دينية أخرى». بالإضافة إلى ذلك، وصـف 8.4 % أنفسهم بأنهم «غير مؤمنين» و11 % على أنهم «ملحدون» (الجدول 2).

جدول رقم (2)

ما هي ديانتك: كاثوليكي، مؤمن بدين آخر، غير مؤمن أو ملحد؟

سنة الدراسة	كاثوليكي	أتباع ديانات أخرى	غير مؤمن	ملحـد
ماي-أيار 2005[3]	78,1	1,8	12,3	6,2
ماي-أيار 2017[4]	69,3	2,6	15,8	10,2
ماي-أيار2018[5]	67,8	3,0	16,5	10,1
ماي-أيار 2019[6]	68,6	2,9	8,4	11,0

المصدر: من إعدادنا استنادا إلى بيانات استطلاع الرأي الواردة في الدراسة التالية:

«استطلاع رأي المركز الإسباني للبحوث الاجتماعية (CIS) لسنوات 2005، 2017، 2018 و2019».

(1) نشير هنا على سبيل المثال كل النقاش الاجتماعي والسياسي الذي رافق موضوع حجاب التلميذتين «فاطمة الادريسي» و«شيماء».

(2) نقصد العائلات المسلمة التي طالبت بتقديم أكل حلال لأبنائها بالمدارس العمومية احتراما لديانتهم وتطبيقا للقنون الإسباني 1992/26.

(3) CIS, Barómetro de mayo 2005. Madrid, Centro de Investigaciones Sociológicas, 2005, p. 10.

(4) CIS, Barómetro de mayo 2017. Madrid, Centro de Investigaciones Sociológicas, 2017, p. 27.

(5) CIS. Barómetro de mayo 2018. Madrid, Centro de Investigaciones Sociológicas, 2018, p. 22.

(6) CIS, Barómetro de mayo 2019. Madrid, Centro de Investigaciones Sociológicas, 2019, p. 25.

مختلف البيانات الرسميــة للمنظمات الدينية المختلفة لا تتفق ونتائج المركز الإسباني للبحوث الاجتماعية (CIS). فوفقًا للمؤتمـر الأسقفي الإسباني (كاثوليكي)، يبلغ إجمالي عدد الكاثوليك في إسبانيـا حـوالي 32.6 مليـون شخص. ويقدر اتحـاد الهيئـات الدينيـة الإنجيليـة الإسبانية (FEREDE) عـدد البروتيستانـت بحـوالي 1.7 مليـون بروتستانتي، منهـم 900.000 من أصول مهاجـرة. كمـا يقـدر اتحاد الجمعيـات الإسلاميـة في إسبانيـا (UCIDE)، المنظمـة التي تضم أكـبر عـدد من أعضاء اللجنة الإسلاميـة في إسبانيا (CIE)، عدد المسلمين بـ 1.9 مليون مسلم. أمـا اتحـاد الجاليات اليهوديـة في إسبانيا (FCJE) فيقـدر عدد اليهود بـ 40.000 تابعا. جمعية الأساقفـة الأرثوذكسية بدورها تقـدر عدد المسيحيين الأرثوذكس بنحـو 900.000 عضو. و«شهود يهوه» يقدرون عدد تابعي ديانتهم بحوالي 113.000 عضوا. أما اتحاد الجمعيات البوذية الإسبانية فيقـدر عـدد البوذيين بنحـو 85.000 تابعا، وتقـدر كنيسة يسـوع المسيح لقديسـي الأيام الأخيرة (المورمـون) عـدد أتباعها بما يقـارب 54.000 عضـوا. المجموعات الدينية الأخـرى تشمل العلوم المسيحية، البهائية (حوالي 12.000)، السيانتولوجيا (11.000 عضو) والهندوسية (الجدول 3).

جدول رقم (3)
الديانات في إسبانيا (2019)

الديانة	عدد المؤمنين	المصدر
الكاثوليكية	32.6 مليون	للمؤتمر الأسقفي الإسباني (الكاثوليكي)
البروتيستانتية	7.1 مليون	اتحاد الهيئات الدينية الإنجيلية الإسبانية (FEREDE)
الإسلام	1.9 مليون	اتحاد الجمعيات الإسلامية في إسبانيا (UCIDE)
اليهود	40.000	اتحاد الجاليات اليهودية في إسبانيا (FCJE)
الأرثوذكسية	900.000	جمعية الأساقفة الأرثوذكسية
شهود يهوه	113.000	«شهود يهوه»
البوذيين	85.000	اتحاد الجمعيات البوذية الإسبانية
المورمون	54.000	كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة
البهائية	12.000	جماعات البهائية
السيانتولوجيا	11.000	جماعات السيانتولوجيا

المصدر: من إعدادنا استنادا إلى بيانات التقرير التالي:
سفـارة الولايـات المتحدة في إسبانيا وأندورا. تقرير دولي عـن الحرية الدينية. إسبانيا 2017. مدريد: وحـدة التحليل والدراسات، 2018، صفحات: 1-31.

أمـا فيما يتعلـق بالتوزيع الجغرافي للديانات في إسبانيا فأعلـى نسبة من غير المسيحيين توجد بأقاليم كاتالونيـا وأندلسيا/الأندلس ومدريد. وفي حالة مدينتي سبتة ومليلية فهذه النسبة تقارب 50 %.[1]

في الصفحـات الموالية مـن دراستنا سنتنـاول بالدرس والتحليل العلاقـة الوثيقة بين الإسلام وإسبانيـا منـذ الفتـح الإسلامـي للأندلس إلى يومنـا هذا. كما سنتنـاول حرية التديـن والمعتقد في إطـار المنظومـة القانونية الإسبانية منـذ المصادقة سنة 1967 على أول قانـون إسباني يعترف بحريـة المعتقد وينظم حرية العبـادة وعلاقات الدولة مع كل الديانات. كذلـك سنتناول بالدراسة والتحليـل واقع المسلمين والإسـلام في إسبانيا، وإشكالية اندماجهـم وتعايشهم مع باقي الديانات والثقافات ومعيقات هذا الاندماج والتعايش.

2. إسبانيا والإسلام: ارتباط وثيق

2.1. المراحل التاريخية للإسلام في إسبانيا (711-2019):

2.1.1 المرحلة الأولى (711-1613):

علـى عكـس باقي البلـدان الأوروبية الأخـرى، يشكل العنصـر الإسلامي سمـة مميزة لماضي إسبانيا وأحد مكونات هويتها. فعلاقة إسبانيا الإستثنائية بالإسلام يعود تاريخها إلى القرن الثامن الميـلادي، عندما فتح المسلمون شبـه الجزيرة الايبيرية سنة 711م (93هـ). وقد شمل هذا الفتح، الـذي استمر حتـى نهاية القرن الخامس عشر، جزءًا كبيرًا من الأراضـي الإسبانية بالإضافة إلى مناطـق أخرى تابعة حاليًا للبرتغال وفرنسا وأنـدورا والأراضي البريطانية ما وراء البحار في جبل طـارق. وقد انتهى التواجد الإسلامي، رسميا، مع نهايـة حكم المسلمين في شبه الجزيرة الايبيرية بسقوط مملكة غرناطة عام 1492م (898هـ).

وقـد ظلت الأندلس تمثل تجربة فريدة من نوعها في تاريخ شبه الجزيرة الأيبيرية، بسبب طول

(1) Embajada de Estados Unidos en España y Andorra, Informe internacional sobre libertad religiosa. España 2017, Madrid, Unidad de Análisis y Estudios, 2018, p. 1-31.

سفارة الولايات المتحدة في إسبانيا وأندورا. تقرير دولي عن الحرية الدينية. إسبانيا 2017. مدريد: وحدة التحليل والدراسات، 2018، صفحات: 1-31. يمكن الاطلاع على نسخة من التقرير في الرابطين التاليين:

https://es.usembassy.gov/wp-content/uploads/sites/260/libertad_religiosa_espana_2017.pdf و

https://es.usembassy.gov/es/our-relationship-es/official-reports-es/

[آخر تصفح: 2019/12/25]

مدتهـا، حيـث تعتبر أطول مـن معظم تلك التي سبقتهـا وغيرها من التي تبعتهـا (711-1492)، وكذلك بسبب الثراء الاستثنائي لمساهماتها الثقافية والفنية والفكرية والعلمية[1].

يشـكل عـام 1492 النهاية الرسميـة للإسـلام بشبه الجزيـرة الإيبيرية حينما هـزم الملكان الكاثوليكيـان؛ إيزابيل الأولى، ملكة قشتالـة، وفرديناند الثاني، ملك أراغـون، الملك أبو عبدالله، آخر ملوك أسرة «بنو نصر»، حيث ضما مملكة غرناطة إلى تاج قشتالة. وقد جاء ذلك نتيجة لعدة حمـلات عسكرية شنهـا الملكان بين عامي 1482م و1492م على مملكـة غرناطة النصرية. انتهت هـذه الحمـلات باستسلام الملك أبو عبد الله[2] بعد توقيعه علـى معاهدة غرناطة، المصادق عليها يـوم 25 نوفمبر-تشرين ثاني من سنـة 1491 م، والتي أنهت الحرب بين الملكين الكاثوليكين والملك أبو عبد الله، الذي تخلى بموجبها عن مملكة غرناطة لصالح الملوك الكاثوليكيين.

وقـد تعهد الملكان، إيزابيـل الأولى وفرديناند الثـاني، بموجب نفس الاتفاقيـة، باحترام حقوق المسلمين الفردية والجماعية، بما في ذلك احترام ممارستهم لشعائرهم الدينية ومعاملتهم العادلة والتعويض لهم عن استسلامهم غير المشروط. وهي التعهدات التي لم يفيا بها كما تأكد ذلك سنوات بعـد توقيع الاتفاقية حيث بعد فـترة قليلة من التعايش بين المسلمـين الكاثوليكيين خلال عهد الملك كارلوس الأول، ملـك إسبانيا بين 1516 و1556 م، عاد ابنه فيليب الثـاني، ملك إسبانيا بين 1556 و1598م، مـرة أخـرى، إلى قمـع العادات والتقاليـد الإسلامية، بما في ذلك محاربتـه للغة العربية وللموسيقـى التقليدية ذات الأصـول العربية-الإسلامية. وقد أدى ذلـك إلى تمرد مسلمي غرناطة الذين انتفضوا سنة 1568م ضد ملك إسبانيا لخرقه المتكرر للمعاهدة وعدم احترامه لبنودها.

بعـد ثلاث سنوات مـن تمرد الموريسكيين المسلح (1568-1571م)، لجـأ ملك قشتالة إلى قمع ثورتهـم ونفى الناجـين منهم إلى مناطق أخرى تابعـة للتاج القشتالي كما سهّـل بيع الآلاف منهم

(1) SEEA, Al-Andalus y el mundo árabe (7112011-): visiones del arabismo, Almería, Sociedad Española de Estudios Árabes, 2012, p. 9.

(2) هو محمد بن علي بن سعد بن علي بن يوسف المستغني بالله بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل ابن يوسف. يعرف عند المؤرخين العرب باسم «أبو عبد الله محمد الثاني عشر» وعند المؤرخين الإسبان باسم Boabdil (أبو عبد الله) أو Boabdil el Chico (أبو عبد الله الصغير). ولد سنة 1459 م بغرناطة وتوفي سنة 1533 م بفاس. ينتسب إلى بني نصر أو بني الأحمر. حكم مملكة غرناطة خلال فترتين: بين عامي 1482 و1483 والثانية بين عامي 1486 و1492. وهو آخر ملوك الأندلس من بني نصر، أو النصريون، أو بنو الأحمر، وهي آخر أسرة مسلمة حكمت مملكة غرناطة ما بين 1232-1492 م .

كعبيد بمختلف أقاليم إسبانيا. حسب إحصائيات بعض الباحثين الإسبان؛ في حدود عام 1573م، في قرطبة فقط، كان هناك حوالي 1500 عبد موريسكي[1]. بعد ذلك بسنوات، سيصدر قرار الملك فيليب الثالث لسنة 1609 القاضي بطرد كل المسلمين خارج مملكة قشتالة[2].

وبالفعل، بين عامي 1492م و1613م، تم طرد حوالي 400.000 من الأندلسيين، من معتنقي الديانتين اليهودية (السفارديم) والإسلامية (الموريسكيون)، إلى شمال إفريقيا وتركيا، وكذلك إلى مناطق أخرى من القارة الأوروبية. عمليات الطرد هذه جاءت تنفيذا لمنطوق مرسوم قصر الحمراء (مرسوم غرناطة)، الذي وقعه الملكان الكاثوليكيان في 31 مارس 1492م، وكذا تطبيقا للأمر الملكي للملك فيليب الثالث الصادر عام 1609م: «[...] قررت أن يرمى بجميع موريسكيي هذه المملكة في البحر الموالي لشواطئ (Berbería) [المغربية]»[3] [4].

آخر عمليات طرد الموريسكيين الموثقة حصلت عام 1613 م وعدد المطرودين الموريسكيين يقدر بحوالي 350.000 من مجموع 400.000 موريسكي وسيفاردي تم طردهم بين سنتي 1492م و1613م. ومنذ هذا التاريخ وحتى أوائل القرن العشرين، تم مسح تواجد الإسلام من الخريطة الدينية الإسبانية.

(1) Henry Kamen, Inquisición Española. Una revisión histórica (3ª edición), Barcelona, Crítica, 2011, p 216.

(2) Leandro Martínez Peñas; Alicia Herreros Cepeda, «El desplazamiento de los moriscos tras la rebelión de las Alpujarras: contexto político, estratégico y militar de una migración forzosa». En F. J. García Castaño y N. Kressova. (Coords.). Actas del I Congreso Internacional sobre Migraciones en Andalucía, 2011, (pp. 2073-2082).

(3) كان يطلق اسم «Berbería» خلال القرن السادس عشر على سكان شمال افريقيا، أو ما يسمى «المغاربيون»، وهو ما يعرف اليوم بـ «المغرب العربي» أو «شمال غرب إفريقيا». المصدر:
Míkel de Epalza. Los moriscos antes y después de la expulsión, Alicante, Biblioteca Virtual Miguel de Cervantes, 2001. Disponible en ligne: http://www.cervantesvirtual.com/obra-visor/los-moriscos-antes-y-despues-de-la-expulsion--0/html/ff53f196-82b1-11df-acc7-002185ce6064_2.htm

[آخر تصفح: 2019/01/02]

(4) Texte de l›expulsion des premiers Morisques, ceux du Royaume de Valence, rendu public le 22 septembre 1609, publié dans son intégralité à plusieurs reprises, y compris dans: Pascual Boronat y Barrachina, Los moriscos españoles y su expulsión, Valencia, Imprenta de Francisco Vives y Mora, 1901, t. 1, p. 190-193.

2.1.2. المرحلة الثانية (1923-2019):

بعد ستة قرون، عاد الإسلام إلى الظهور في إسبانيا في أوائل القرن العشرين وذلك على ثلاث مراحل.

أ. الأولى (1923-1965):

في هذه المرحلة الممتدة بين سنوات 1923 و1965 م يجب التمييز بين حالتين. الأولى لها علاقة بالبدايات الأولى لعودة الإسلام إلى مدينتي سبتة ومليلية، بشكل خاص، منذ سنة 1923، نظرا لوضعهما الخاص في العلاقات المغربية الإسبانية. والثانية لها علاقة بعودة الإسلام إلى شبه الجزيرة الايبيرية، بشكل عام، منذ سنة 1936، بعد تغييبه لفترة طويلة دامت ستة قرون.

في الحالة الأولى المتعلقة بعودة الإسلام إلى مدينتي سبتة ومليلية، مجموعة أرشيفات تؤكد أنه في أوائل عشرينات القرن الماضي، تم افتتاح مجموعة من المساجد في مجموعة من الأحياء في مدينتي سبتة ومليلة، حيث كان يتواجد عدد كبير من سكان المدينتين من معتنقي الديانة الإسلامية، وهم سكانها الأصليون، وكانوا بحاجة إلى تنظيم العبادة الجماعية. واستنادا إلى خبر نُشر في العدد 23.634 من الجريدة الإسبانية «الصحيفة العالمية للأنباء» Diario Universal de Noticias، الصادر يوم 23 يونيو-حزيران من سنة 1923م، فإن حي «مانتيليتي» Mantelete كان يتوفر على مسجد، والذي كان استعماله لا يقتصر فقط على أداء الشعائر الإسلامية بل كان له أيضا دور اجتماعي وكانت تنظم فيه مجموعة أنشطة لها علاقة بثقافة التآلف والتعاضد والتضامن الموجوة بين مسلمي مدينة مليلية[1]. مما يؤكد أن مدينة مليلية كانت تتوفر منذ سنة 1923م، على الأقل[2]، على مسجد، على الرغم من أن إسبانيا لم تكن تتوفر وقتها على أي إطار

(1) نُشر في العدد 23.634 من الجريدة الإسبانية «الصحيفة العالمية للأنباء» Diario Universal de Noticias، الصادر يوم 23 يونيو-حزيران من سنة 1923، خبر وفاة المسمى قيد حياته إدريس بن سعيد ودفنه في مقبرة «سيدي غواريش»: «الصندوق [...] تم نقله إلى المسجد الموجود في حي «مانتيليتي» Mantelete لدفنه [...]».
هذا الخبر لا يوضح فقط وجود أنشطة بمسجد مانتيليتي ذات علاقة بحياة المسلمين اليومية، بل يشير أيضًا إلى العمل الاجتماعي والتضامني الموجودين بين المسلمين في هذا الحي.
Sol Tarrés. «Musulmanes en Melilla: apuntes etnohistóricos», Awraq, nº 10, 2014, pp. 141162-.

(2) بعض الأبحاث تؤكد، استنادا إلى تصريح لإمام مسجد «مانتيليتي»، ان هذا المسجد يعود تاريخ تأسيسه إلى 147 سنة. وحسب نفس الإمام، فمؤسس المسجد هو أحد التجار من مدينة فاس المغربية.
Sol Tarrés «Musulmanes en Melilla: apuntes etnohistóricos», Awraq, 10, 2014, p. 145.

قانوني مُنَظِّم لباقي الديانات ما عدا الديانة الكاثوليكية. كما كانت مدينة سبتة تتوفر على مسجد (مسجد عمر بن عبد العزيز). إضافة إلى ذلك، بنت الدولة الإسبانية مسجدان وفوضت تدبيرهما إلى الجماعات الإسلامية الموجودة بالمدينتين. يتعلق الأمر بالجماعات الدينية التي سُجّلت لاحقا تحت اسم «جماعة الإمام مالك» بمدينة سبتة، والتي تكلفت بإدارة «مسجد مولاي المهدي»[1]؛ وبـ«المجلس الديني الإسلامي» بمدينة مليلية، والذي تكلف بتدبير «المسجد المركزي».

وأما الثانية فلها علاقة مباشرة بالحرب الأهلية الإسبانية التي اندلعت منتصف الثلاثينات من القرن الماضي. فخلال سنوات الحرب، التي استمرت من عام 1936م إلى عام 1939م، قاتل ما بين 62.000 و85.000 من مغاربة الريف[2] تحت أوامر الجنرال فرانكو. وقد تم إقناع هؤلاء الجنود للمشاركة في الحرب الأهلية الإسبانية إلى جانب الجنرال فرانكو بحجة أن المسيحيين الإسبان بقيادة فرانكو ومسلمي إقليم الريف (شمال المغرب) يتشاركون في الإيمان بنفس الإله (الله) وأن عدوهم واحد: الملحدون الجمهوريون والشيوعيون الإسبان ومساندوهم من دول الحلف الشيوعي.

حاول نظام الجنرال فرانكو إغراء الجنود المغاربة وتسهيل حياتهم في إسبانيا، حيث كلّف الجنرال «أورغاث»، أحد شركاء فرانكو في الانقلاب والحرب ضد الجمهورية الثانية (17-23 يوليوز 1936)، بالسهر على بناء مساجد ومقابر إسلامية خاصة بـ «مغاربة فرانكو» los Moros de Franco، كما تسميهم بعض كتب التاريخ الإسبانية، المشاركين في «حرب فرانكو الصليبية» ضد الشيوعيين والملحدين، أي؛ الجمهوريون. بعض هذه المساجد والمقابر تم الاحتفاظ بها إلى

(1) معلومات إضافية حول «مسجد مولاي المهدي» في الرابط التالي:
https://es.wikipedia.org/wiki/Mezquita_de_Muley_el-Mehdi
[آخر تصفح: 2019/01/03]

(2) الريف المغربي هو منطقة تقع في شمال المغرب، في الجهة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط. كانت أحد الأقاليم التي خضعت للاحتلال الإسباني بين سنوات 1912 و1956 م. وقد كان يحدها من الجهة الشرقية إقليم كرت ومن الجهة الغربية إقليم شفشاون. وقد كانت واحدة من المناطق الإدارية الخمسة التي تم وفقها تقسيم المناطق التي احتلتها إسبانيا، كما قسمتها إلى ثمانية عشرة قبيلة وعلى رأس كل قبيلة وضعت قائدا مخزنيا، يعينه خليفة السلطان المغربي في المنطقة المحتلة، التي كانت تسمى بالمنطقة الخليفية، إضافة إلى قائد عسكري إسباني. ومنذ سنة 2015 تبنت المملكة المغربية تقسيما إداريا جديدا، في اطار الجهوية الموسعة المنصوص عليها في الدستور المصادق عليه سنة 2011، وضمت بموجبه إقليم الريف إلى الجهة الإدارية المسماة «طنجة تطوان الحسيمة»، وهي جهة تتمتع بموقع جغرافي إستراتيجي مجاور لمضيق جبل طارق ويبعد من إسبانيا بحوالي أربعة عشر كيلومترا.

يومنـا هذا مثل «مسجد المرابطـون» بمدينة قرطبة و«مسجد مولاي المهدي» بمدينة سبتة و«المقبرة الإسلاميـة» بمدريد. أغلبها تم تفويض شأن تسييرها إلى جمعيات إسلامية في إطار اتفاقيات بين هذه الأخيرة والسلطات الوصية (وزارة الدفاع أو البلديات).

ب. الثانية (1965-1990):

هذه المرحلة يمكن التأريخ لبداياتها خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1965م و1973م، مع وصول مجموعـة من الطلبة العرب مـن الأراضي الفلسطينية المحتلة ولبنان وسوريـا والأردن أواخر سنة 1965م وكذلـك مـع وصول أعداد كبيرة من المهاجرين المغاربـة إلى إقليمي كاتالونيا ومدريد، بعد إغـلاق حدود معظم دول أوروبا الغربية؛ مثل الدنمارك وألمانيـا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والنمسا والنرويج، وذلك نتيجة لأزمة النفط الأولى لعام 1973م وارتفاع نسب العطالة في هذه البلدان.

ج. الثالثة (1990-2019):

تزامنـت هذه المرحلة مع توقيع إسبانيا على اتفاقية شنغن، في يونيو 1990، وتطبيقها للتأشيرة الإجبارية لدخول الأراضي الإسبانية على جميع مواطني البلدان غير الأعضاء في الاتحاد الأوروبي. وقـد نجم عن ذلك ديناميكيـة أكبر للهجرات من الدول الإسلاميـة، خاصة من المغرب والجزائر وباكستـان والسنغال إلى إسبانيـا، وبشكل أساسي إلى الاقاليم المحيطـة بالبحر الأبيض المتوسط (أندلسيا-الأندلـس ومورسيـا وكاتالونيـا) والداخل (إقليـم مدريد). بدأت هـذه المرحلة أواخر ثمانينيات/أوائل تسعينات القرن الماضي ولا زالت مستمرة حتى يومنا هذا.

في حالـة المهاجريـن المسلمين من أصول مغربيـة، والذين يمثلون 39 % مـن مجموع المسلمين في إسبانيـا، ووفقا لنتائـج أول دراسة أجرتها المنظمة الكاثوليكيـة Caritas España حول الهجرة في إسبانيـا، والتي تتضمن استنتاجـات الأبحاث والدراسات الاستقصائيـة الميدانية التي أجرتها المجموعـة البحثية IOE خلال المرحلة الممتدة بين شهرشتنبر-أيلول من سنة 1984 وشهر أكتوبر-تشريـن أول مـن سنـة 1985 م، 90 % مـن المهاجريـن المغاربة الذيـن يعيشـون في شبه الجزيرة الايبيريـة وجـزر الكناري كانوا قد وصلوا بعد عـام 1970م، في حين أن 87 % من المغاربة المقيمين في مدينتي سبتة ومليلية يعتبرون من السكان الأصليين أو وصلوا قبل 1970م[1].

زد على هذا، منذ بداية الانتفاضات العربية سنة 2011 م، زاد عدد المهاجرين من تونس وسوريا

(1) IOE, Los inmigrantes en España, Madrid, Cáritas Española, 1987, pp. 117-123..

والعراق وليبيا واليمن وأفغانستان وكوسوفو إلى جنوب إيطاليا ومالطا واليونان، كما تحولت ليبيا، منذ سقوط نظام القذافي، إلى المُصَدِّر الرئيسي للمهاجرين من أصول سورية وأفريقية. وحسب تقارير مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، منذ سنة 2014 تحولت أربع بلدان إسلامية (سوريا والعراق وأفغانستان وكوسوفو) إلى أول دول منشأ طالبي اللجوء في البلدان الصناعية الأربع والأربعين[1]. وقد سجلت سنتي 2013م و2014م أعلى ارتفاع في عدد المهاجرين واللاجئين الفارين من بلدان النزاع والقاصدين السواحل الأوروبية عبر ليبيا. فوفقًا لتقرير المنظمة الدولية للهجرة (IOM) لسنة 2014م، في عام 2013م وصل ستون ألف شخص إلى السواحل الإيطالية عبر ليبيا. وقد ارتفع هذا الرقم إلى مائة وسبعين ألف سنة بعد ذلك. ولعل التفسير الرئيسي لذلك هو تدهور الوضع في سوريا، حيث أغلبية المهاجرين، وانعدام الأمن في ليبيا، نقطة العبور الرئيسية للسفن والقوارب القاصدة شواطئ إيطاليا ومالطا واليونان.[2]

ففي أوائل عام 2020م، وصل عدد اللاجئين السوريين إلى 5.556.417 لاجئ حسب آخر إحصائيات الأمم المتحدة المحينة يوم 20 يناير 2020م[3]، مما يجعل هذا النزوح أحد أكبر الهجرات الجماعية في التاريخ الحديث، حيث يمثل حوالي 25 % من إجمالي سكان سوريا. ولقد تسببت الحرب الأهلية السورية في نزوح أكبر عدد من النازحين، أكثر من أية حرب أهلية أخرى في العالم، حيث يُسَجّل يوميا نزوح ما يزيد عن 6.000 نازح بسبب الحرب.

3. حرية الدين والمعتقد في إطار المنظومة القانونية الإسبانية[4]

منذ مصادقة البرلمان الإسباني على أول دستور لإسبانيا سنة 1812م تبنى المُشَرِّع الإسباني مبدأ كاثوليكية الدولة ورفض الاعتراف بالأديان الأخرى. وقد تكرر هذا في دساتير سنة 1837م

(1) Mohammed Dahiri, 2018, p. 313.

(2) نفسه.

(3) يمكن الاطلاع على آخر الإحصائيات المحينة يوميا في موقع منظمة الأمم المتحدة الخاص باللاجئين السوريين على الموقع التالي.

https://data2.unhcr.org/es/situations/syria

[آخر تصفح: 2019/01/05]

(4) للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن العودة إلى «الدليل الدراسي حول حرية الدين أو المعتقد» لجامعة مينوسوتا والموجود على الموقع التالي: http://hrlibrary.umn.edu/arabic/SGreligion.html

[آخر تصفح: 2019/01/05]

و1845م و1876م، حيث تعمد البرلمان عدم الفصل بين الدين والدولة. الدستور الوحيد الذي تبنى مبدأ الفصل بين الدين والدولة هو دستور سنة 1931م، الذي تبنته حكومة الجمهورية الثانية خلال فترة حكمها القصيرة بين سنتي 1931م و1939م[1]. غير أن الجنرال فرانكو، بعد فوزه في انقلابه على الجمهوريين سنة 1939م، عاد إلى تبني مبدأ كاثوليكية الدولة. وسوف لن يتم تكييف الدولة الإسبانية مع المعايير الأوروبية فيما يتعلق بفصل الدين عن الدولة والاعتراف بحرية التدين إلا بعد وفاة فرانكو وعودة الديمقراطية إلى إسبانيا بعد المصادقة على دستور جديد في استفتاء شعبي سنة 1978م.

وجب التذكير، ها هنا، ولأسباب لها علاقة بالجنود المسلمين الذين استعان بهم الجنرال فرانكو في حربه ضد الجمهوريين وكذلك بوضع مسلمي مدينتي سبتة ومليلية، كما سبق بنا، إلى أن نظام الجنرال فرانكو صادق سنة 1967م على أول قانون إسباني يعترف بحرية المعتقد وينظم حرية العبادة وعلاقات الدولة مع كل الديانات. هذا القانون شكل المحفز الأول لتأسيس جمعيات إسلامية في إسبانيا. وقد تم استبدال هذا النظام القانوني بالمنظومة القانونية الإسبانية التي كرسها دستور 1978 مع عودة الديمقراطية إلى إسبانيا . وواضح جدا أن الدستور الإسباني لعام 1978م حاول إعطاء موضوع «الحق في حرية التدين» الأهمية التي يستحقها في بلد يعرف تعددية دينية وثقافية ويعيش انتقالا ديمقراطيا بعد أربعين سنة من الدكتاتورية، حيث اعتبره حقا أساسيا ونص عليه في بابه الأول المخصص «للحقوق والواجبات الأساسية».

ينص الدستور الإسباني في فصله 16.1 على أن:

الحرية الأيديولوجية وحرية التدين والمعتقد مكفولة للأفراد والجماعات، دون أي قيد على نشاطاتهم، إلا ما هو ضروري للحفاظ على النظام العام الذي يحميه القانون[2](*).

(1) URRUTIA ASUA, Gorka (dir.). Entrelazados. Minorías religiosas en Asturias, Cantabria y La Rioja. Narcelona: Icaria editorial, 2017, p. 18.

(2) الدستور الإسباني المصادق عليه يوم 6 دجنبر من سنة 1978، والمنشور بالعدد 311 «الجريدة الرسمية»، الصادرة بتاريخ 29 دجنبر 1978، صفحات: 29313-29424. يمكن الاطلاع على نسخة من الدستور الإسباني في موقع «الجريدة الرسمية» رقم 311 في الرابط التالي: https://www.boe.es/diario_boe/txt.php?id=BOE-A-1978-31229 [آخر تصفح: 2019/01/05]

(*) ترجمتنا نقلا عن النص الأصلي باللغة الإسبانية.

كما نظم القانون الأساسي 1980/7 المتعلق بحرية التدين العلاقات بين الدولة وبعض الطوائف الدينية. تنص المادة السابعة منه على أن:

الدولة، مراعاة منها للمعتقدات الدينية الموجودة في المجتمع الإسباني، ستُبرم، عند الاقتضاء، اتفاقيات أو شراكات تعاون مع الكنائس والديانات والجماعات الدينية المسجلة في [سجل الجماعات والجمعيات الدينية]، والتي بسبب نطاق اشتغالها وعدد المؤمنين بها، حصلت على درجة «التجذر المشهود» في إسبانيا. في كل الحالات، سيصادق على هذه الاتفاقيات في البرلمان[1](*).

وبموجب هذا القانون تمكنت الجماعات الإسلامية في إسبانيا من الحصول على الاعتراف القانوني المعروف في القوانين الإسبانية بـ «التجذر المشهود» (Notorio arraigo) للإسلام في إسبانيا ابتداء من عام 1989م.

بعد سنوات من التنظيم الداخلي لهذه الجماعات من أجل التوافق على خلق هيئة تمثلهم أمام المؤسسات الإسبانية، وبعد عدة جولات من التفاوض مع الدولة الإسبانية، تمكنت تمثيليتهم، ممثلة في المفوضية الإسلامية بإسبانيا (CIE)، باتفاق مع الاتحاد الإسباني للجمعيات الدينية الإنجيلية واتحاد الجاليات اليهودية، من الاتفاق مع الدولة الإسبانية على توقيع اتفاقيات للتعاون مع الطوائف والجماعات الدينية المسجلة في «سجل الديانات المتجذرة في إسبانيا» (Registro de notorio arraigo) تجذرا مشهودا لطول تاريخها وعدد أتباعها في إسبانيا.

وبالفعل، يوم 28 أبريل- نيسان من سنة 1992م تم توقيع أول اتفاق تعاون بين الدولة الإسبانية والمفوضية الإسلامية في إسبانيا والاتحاد الإسباني للجمعيات الدينية الإنجيلية واتحاد الجاليات اليهودية[2]. وضع هذا الاتفاق إطارًا قانونيًا يحدد ويفصل قواعد التمثيل المؤسسي للأقليات الدينية، مع تنظيم الحضور العمومي للإسلام من خلال الحماية القانونية للمساجد والوضع

(1) القانون الأساسي 1980/7 المتعلق بحرية التدين، المصادق عليه يوم 5 يوليوز 1980. يمكن الاطلاع عليه في الرابط التالي:
http://www.observatorioreligion.es/diccionario-confesiones-religiosas/glosario/acuerdos_de_cooperacion.html [آخر تصفح: 2019/01/05]

(*) ترجمتنا نقلا عن النص الأصلي باللغة الإسبانية.

(2) Ley 26/1992 [Loi 26-1992], de 10 de noviembre, por la que se aprueba el Acuerdo de Cooperación del Estado con la Comisión Islámica de España, pp. 38214 – 38217.
نشر بالجريدة الرسمية ليوم 12 نوفمبر من سنة 1992. عدد 272، صفحات: 38214-38217.

القانـوني للأئمة والتعليم الديني في المدارس العموميـة والأعياد الدينية والمنتجات الغذائية المعدة وفقـا للشريعة الإسلامية والرعاية الروحانية في المستشفيـات والسجون والمقابر، وكذلك الحفاظ على التراث التاريخي والفني الإسلامي وتعزيزه.

وفي عـام 1996م، تمـت الموافقة علـى برنامج تدريس الديـن الإسلامي كمـا تم توقيع اتفاقية يتـم بموجبهـا تعيين وتنظيم الإطـار الاقتصادي للمعلمـين المسؤولين عن تعليـم الدين الإسلامي في مراكـز التعليم الابتدائـي والثانوي التابعة للقطاع العمومي. هـذه الاتفاقية تم تحيينها بموجب الملحـق الإضـافي الثالث من قانـون 2006 للتعليم وكذا بموجـب المرسوم الملكي لعـام 2007 الذي ينظم شروط عمل مدرّسي الدين الإسلامي. كما تمت المصادقة على المرسوم الذي ينظم الرعاية الدينية سنة 2006م. وفي عام 2007 وقعت الدولة الإسبانية والمفوضية الإسلامية بإسبانيا (CIE) الاتفاقية الاقتصادية للمساعدين الدينيين لمعتنقي الديانة الإسلامية.

على المستوى الإقليمي، بين عامي 1998م و2018م، تم توقيع العديد من الاتفاقيات بين حكومات إقليميـة مختلفة وجمعيات ممثلـة للمسلمين في هذه الأقاليم. فقد وُقّعت اتفاقية-إطار للتعاون بين الحكومـة الإقليميـة لمدريد واتحاد الجمعيـات الإسلامية في إسبانيـا (UCIDE) في عام 1998م وفي عام 2002م وُقّعت اتفاقية بين الحكومة الإقليمية لكاتالونيا والمجلس الإسلامي في كاتالونيا ثم في عام 2008م وُقّعت اتفاقية بين الحكومة المحلية لمدينة مليلية واللجنة الإسلامية بمليلية (ليست عضـوة في CIE)[1]. كذلك تم توقيع اتفاق إطاري سنة 2018م بين المفوضية الإسلامية في إسبانيا (CIE) والحكومـة الإقليميـة لمدريـد، والذي بموجبه يُنَظّـم الحق في الرعايـة الدينية الإسلامية في المستشفيات التابعة إداريا لإقليم مدريد.

4. واقع الإسلام والمسلمين في إسبانيا

يبلغ عدد المسلمين في إسبانيا 1.993.675 نسمة، حسب إحصائيات فاتح يناير 2019، ويمثلون 4 % مـن إجمالي سكان البلاد. 42.5 % (847.801) منهم إسبـان و57.5 %، ما يعادل 1.145.874، منهـم ولـدوا في الخارج. زد على هذا، ما يقارب سبعة من كل عشرة (67.1 %) من بين المسلمين الأجانب الذين يعيشون في إسبانيا، هم من أصول مغربية (769.050)، يليهم المسلمون من أصول باكستانية (82.738)، والسنغاليون (66.046) ثم الجزائريون (60.820) (الجدول 4).

(1) UCIDE, Estudio demográfico de la población musulmana, pp. 12-14.

جدول رقم (4)

المسلمون المقيمون إسبانيا حسب جنسياتهم

الجنسية	عدد المسلمين
الجزائر	60.820
بنغلاديش	15.979
إسبانيا	**847.801**
غامبيا	19.381
غانا	10.186
مالي	23.685
المغرب	**769.050**
نيجيريا	39.374
باكستان	82.738
السينغال	66.046
جنسيات أخرى	58.615
مجموع المسلمين في إسبانيا	**1.993.675**

المصدر: من إعدادنا استنادا إلى بيانات استطلاع الرأي الواردة في الدراستين التاليتين:
إحصائيات المفوضية الإسلامية في إسبانيا لسنة 2019 [1] والتقرير السنوي لوزارة العدل الإسبانية لسنة 2018 [2].

من جهة أخرى، يشير التوزيع الجغرافي، حسب أقاليم ومناطق إقامة المسلمين، إلى أن الجالية المسلمة تتركز بشدة في المناطق المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط وفي وسط البلاد، حيث تضم الأقاليم الخمسة المشكلة للحزام المتوسطي ووسط إسبانيا (أندلسيا-الأندلس، كاتالونيا، فالنسيا، مورسيا ومدريد) 1.465.653 مسلمًا، أي 73.51 % من إجمالي عدد المسلمين المقيمين في إسبانيا (1.993.675) (الجدول 5).

(1) UCIDE, Estudio demográfico de la población musulmana Explotación estadística del censo de ciudadanos musulmanes en España referido a fecha 31/12/2018, Madrid, Observatorio Andalusí, 2019.

(2) Ministerio de Justicia, Informe Anual sobre la Situación de la Libertad Religiosa en España 2017, Madrid, Ministerio de Justicia. Secretaría General Técnica, 2018.

جدول رقم (5)

توزيع المسلمين في إسبانيا حسب أقاليم ومناطق إقامتهم (إلى حدود تاريخ 2019/01/01):

الأقليم أو المنطقة	الجزائر	بنغلاديش	إسبانيا	غامبيا	غينيا	مالي	المغرب	نيجيريا	باكستان	السينغال	جنسيات أخرى	المجموع
أندلسيا-الأندلس	4.573	648	144.971	1.194	1.149	5.172	135.939	5.323	4.374	11.479	9.858	324.680
أراغون	4.617	15	21.021	1.976	789	1.827	18.313	748	2.117	3.291	1.684	56.398
أستورياس	466	33	2.350	19	49	24	2.840	329	323	1.274	493	8.200
جزر البليار	1.169	393	18.708	168	209	819	24.863	2.425	1.704	4.252	1.386	56.096
جزر الكناري	475	425	45.470	149	548	254	17.136	1.483	537	3.444	3.967	73.888
كانتابريا	265	12	1.345	33	37	26	1.766	242	247	575	572	5.120
قشتالة وليون	1.304	139	13.909	157	77	422	19.756	312	942	808	1.119	38.945
قشتالة-لامانشا	1.556	84	25.602	136	214	1.378	31.456	1.314	1.112	1.050	1.401	65.303
كاتالونيا	8.598	7.096	195.607	14.180	4.137	7.204	210.742	6.199	45.073	20.778	13.986	533.600
سبتة	7	0	31.721	0	0	1	5.236	2	7	0	28	37.002
فالينسيا	24.375	362	78.228	341	586	2.093	75.958	4.622	13.139	5.381	5.971	211.056
إكسترمادورا	166	13	11.144	15	32	36	7.176	52	299	206	268	19.407
غاليسيا	699	136	5.639	51	54	71	6.872	556	456	2.642	1.455	18.631
مدريد	2.029	6.116	176.832	289	1.187	1.503	76.549	8.461	3.666	3.246	11.113	290.991
مليلية	12	0	32.774	0	1	0	12.168	0	2	3	17	44.977

الأقليم أو المنطقة	الجزائر	بنغلاديش	إسبانيا	غامبيا	غينيا	مالي	المغرب	نيجيريا	باكستان	السينغال	جنسيات أخرى	المجموع
مورسيا	2.549	141	13.198	381	408	1.623	81.525	1.296	713	2.211	1.281	105.326
نافارّا	2.161	17	9.229	34	140	265	11.880	1.268	512	846	543	26.895
إقليم الباسك	4.982	345	12.581	218	440	745	21.956	4.618	5.098	4.391	3.178	58.552
لاريوخا	817	4	7.472	40	129	222	6.919	124	2.417	169	295	18.608
المجموع	60.820	15.979	847.801	19.381	10.186	23.685	769.050	39.374	82.738	66.046	58.615	1.993.675

المصدر: أعددنا هذا الجدول استنادا إلى إحصائيات المفوضية الإسلامية في إسبانيا لسنة 2019 [1].

باقي الجنسيات:

[مجمـوع باقي الجنسيـات: 58،615 مسلم]: البانيا (2،540)، تركيا (4،395)، بنين (326)، بوركينا فاسو (1،221)، الكاميرون (6،024)، ساحل العاج (3،634)، مصر (3،807)، غينيا بيساو (4،310)، موريتانيا (8،038)، سيراليون (658)، توغو (447)، تونـس (2،096)، المملكة العربية السعودية (676)، اندونيسيـا (1،687)، إيران (5،138) ،العراق (1،501)، الأردن (1،275)، كازاخستان (2،169)، لبنان (1،960)، سوريا (6،713).

(1) UCIDE, Estudio demográfico de la población musulmana Explotación estadística del censo de ciudadanos musulmanes en España referido a fecha 312018/12/, Madrid, Observatorio Andalusí, 2019.

5. المؤسسات الإسلامية في إسبانيا

1.5. الاعتراف بالدين الإسلامي كـ«دين متجذر» في إسبانيا:

اعترفت وزارة العدل الإسبانية سنة 1989م بالدين الإسلامي كـ«دين متجذر» في إسبانيا بطلب من الجمعية الإسلامية الإسبانية (تأسست قانونيا سنة 1971م). ونظرا لتزايد عدد الجماعات الدينية الإسلامية منذ تسعينيات القرن الماضي[1] وإلحاح السلطات الإسبانية المتزايد على هذه الجمعيات لخلق ائتلاف لها والاتفاق على تمثيلية قانونية تمثلهم أمام هذه السلطات، عَجّل ذلك بظهور اتحادين سنتي 1989م و1991 م. يتعلق الأمر بالفيدرالية الإسبانية للجمعيات الدينية الإسلامية (FEERI)، التي تأسست سنة 1989م، واتحاد الجماعات الإسلامية في إسبانيا (UCIDE)، الذي تأسس سنة 1991م. ويلتقي الائتلافان، حسب قوانينهما الأساسية، في نفس الأهداف المتمثلة في توحيد وتنسيق جميع الهيئات والجماعات الإسلامية في إسبانيا وتمثيلها أمام الإدارات العمومية والمؤسسات الرسمية، كممثل شرعي لها.

2.5. التمثيلية القانونية للجماعات والجمعيات الإسلامية في إسبانيا:

باتفاق بين FEERI وUCIDE تم، سنة 1992م، تأسيس هيئة دينية مسجلة تحت اسم «المفوضية الإسلامية في إسبانيا» (CIE)[2]، بهدف تمثيل الجماعات الدينية الإسلامية المسجلة في سجل وزارة العدل وتحفيز وتيسير ممارسة الإسلام في إسبانيا وفقًا للقرآن والسنة.

ومنذ تأسيسها وتسجيلها في «سجل الهيئات الدينية» التابع لوزارة العدل[3]، مثلث CIE الجمعيات الإسلامية واتحادَيْها في المفاوضات مع الدولة الإسبانية كما نابت عنهما في توقيع اتفاقية التعاون المبرمة سنة 1992م (القانون 1992/26، المؤرخ بتاريخ 10 نونبر 1992). وهي

(1) حسب أحدى الدراسات الميدانية لسنة 2006، إلى حدود بدايات تسعينيات القرن الماضي، عدد الجمعيات والمجالس الإسلامية لم يكن يتعدى اثنتا عشرة جمعية:

Joan Estruch et al, Las otras religiones. Minorias religiosas en Cataluña, Barcelona, Icaria editorial, Colección: Pluralismo y Convivencia, 2006, p. 211.

(2) معلومات إضافية يمكن الاطلاع عليها في الموقع التالي:

http://www.hispanomuslim.es/panya/cie.htm

[آخر تصفح: 2019/01/05]

(3) تم تأسيس «المفوضية الإسلامية في إسبانيا» (CIE) بتاريخ 19 فبراير 1992 م. وقد تم تسجيلها في «سجل الهيئات الدينية» التابع لوزارة العدل الإسبانية تحت رقم 3093-SE/D/016109.

نفس الأدوار التي لا زالت تقوم بها إلى الآن. أي كممثل ومُحاوِرٌ للدولة الإسبانية وباقي المؤسسات العمومية باسم هذه الهيئات.

يتم التواصل مع CIE عن طريق رئيس مجلس إدارتها. وتسهر لجنتها الدائمة، المكونة من خمس وعشرين عضوًا ممثلين لكل الجماعات العضوة بالمفوضية، على تداول الأمور المتعلقة بتطبيق وتنفيذ ومتابعة اتفاقية التعاون مع الدولة الإسبانية .

ومنذ التوقيع على اتفاقية التعاون في عام 1992م وحتى اليوم تشكلت عدة اتحادات جديدة، معظمها ذات طابع إقليمي وجهوي.

6. المسلمون في إسبانيا وتحدي الاندماج والتعايش

1.6. المهاجرون المسلمون من الأقليات الأكثر اندماجا في إسبانيا:

وفقًا للعديد من الدراسات واستطلاعات الرأي، يشعر المسلمون بالاندماج في إسبانيا ويعتبرون أنفسهم متكيفين مع الحياة الإسبانية.

فاستنادا إلى نتائج «دراسات الرأي الخمسة للجالية المسلمة من أصل مهاجر في إسبانيا»، التي أجُريت خلال سنوات 2006[1] و2007[2] و2008[3] و2009[4] ثم 2010[5] من قبل مركز الدراسات الاجتماعية واستطلاعات الرأي «ميتروسكوبيا» Metroscopia[6]، المسلمون

(1) Metroscopia, La Comunidad Musulmana de origen inmigrante en España. Encuesta de opinión, Madrid, Ministerio del Interior, Ministerio de Justicia y Ministerio de Trabajo e Inmigración, 2007.

(2) Metroscopia, La Comunidad Musulmana de origen inmigrante en España. Encuesta de opinión, Madrid, Ministerio del Interior, Ministerio de Justicia y Ministerio de Trabajo e Inmigración, 2008.

(3) Metroscopia, La Comunidad Musulmana de origen inmigrante en España. Encuesta de opinión, Madrid, Ministerio del Interior, Ministerio de Justicia y Ministerio de Trabajo e Inmigración, 2009.

(4) Metroscopia, La Comunidad Musulmana de origen inmigrante en España. Encuesta de opinión, Madrid, Ministerio del Interior, Ministerio de Justicia y Ministerio de Trabajo e Inmigración, 2010.

(5) Metroscopia, La Comunidad Musulmana de origen inmigrante en España. Encuesta de opinión, Madrid, Ministerio del Interior, Ministerio de Justicia y Ministerio de Trabajo e Inmigración, 2011.

(6) أجريت هذه الدراسات بتكليف من كل من وزارة العدل ووزارة الداخلية ووزارة العمل والهجرة والخطة الوطنية لتحالف الحضارات.

المُستجوبون[1] عبروا عن رغبتهم في الاندماج في المجتمع الإسباني. 67 % منهم صرحوا بأنهم يشعرون وكأنهم في بلدهم الأصلي، و83 % يعتبرون أنفسهم متكيفين مع الحياة الإسبانية و90 % لديهم بيئة علائقية تميل إلى أن تكون واسعة ومتعددة مع الأسبان ومع مواطنين من جنسيات أخرى[2]. زد على هذا، حوالي 5 % منهم تزوجوا من مواطنات أو مواطنين من جنسية إسبانية خلال السنوات الأخيرة[3]، كما يعتقد معظمهم أن الزيجات المختلطة بين المسلمين والمسيحيين يجب أن تقبل بشكل طبيعي و71 % من بينهم يعتقد أنه من حق الزوجة التمتع بنفس الحقوق التي يتمتع بها زوجها[4] .

فيما يتعلق بإتقان اللغة الإسبانية، تؤكد الغالبية العظمى أن لديهم طلاقة معقولة، كما أكد ثلث الذين يقيمون بالمدن المحاذية لساحل البحر الأبيض المتوسط معرفتهم للغة الكاتالانية أو اللغة الفالينسية[5].

2.6. رؤية المهاجرين المسلمين لإسبانيا والدول الغربية ومؤسساتها جد إيجابية:

وفقا لنتائج دراسة مركز الدراسات الاجتماعية واستطلاعات الرأي «ميتروسكوبيا» لعام 2010[6]، يقيّم المهاجرون المسلمون المجتمع الإسباني ككل والنظام السياسي الإسباني بشكل جد إيجابي ويعبرون عن درجة ملحوظة من الثقة في مؤسسات الدولة الإسبانية. كما يقرون أن لديهم صورة إيجابية عن الدول الغربية وقيمها ومبادئها. 75 % من المستجوبين يعتقدون أنه، حاليا في إسبانيا، يحاول المسلمون والمسيحيون التعايش واحترام بعضهم البعض. كذلك، 83 % يعتبرون أنفسهم متكيفين مع الحياة وفقًا لعادات مكان إقامتهم في إسبانيا. كما صرح 74 % منهم بأن لديهم إحساس بأن المهاجرين مرحب بهم في إسبانيا و88 % أكدوا أنهم يعاملون في المستشفيات العمومية بنفس الطريقة التي يعامل بها المواطنون الإسبان.

فيما يتعلق بالمؤسسات والنظام السياسي الإسباني، تم تقييم المنظمات غير الحكومية

(1) استندت استطلاعات الرأي الخمسة على عينة من 2000 مقابلة.

(2) Metroscopia, 2011, p. 5.

(3) INE, Encuesta Nacional de Inmigrantes 2007, Madrid, Instituto Nacional de Estadística, 2008.

(4) Metroscopia, 2011, p. 32.

(5) Metroscopia, 2009, p. 20-23.

(6) Metroscopia, 2009, p. 27-32.

بـ (7.2) نقطة [على مقياس تقييم من 0 إلى 10]، والنظام القضائي بـ (6.4)، والشرطة الإسبانية بـ (6.1)، وملك إسبانيا بـ (7.2)، والاتحاد الأوروبي بـ (6.0) والأمم المتحدة بـ (5.5)[1].

3.6. المهاجرون المسلمون وقرارهم الاستقرار الدائم في إسبانيا

على الرغم من المشاكل التي يعانيها المهاجرون المسلمون في إسبانيا، حيث أنهم يشغلون وظائف ذات جودة منخفضة وأن معدلات البطالة في أوساطهم أعلى مقارنة مع المهاجرين من دول أمريكا اللاتينية وأوروبا الشرقية أو مقارنة مع الإسبان أنفسهم، فإن 85 % منهم قرروا الاستقرار بشكل دائم في إسبانيا و5 % فقط منهم يفكرون في العودة إلى بلدانهم الأصلية أو الهجرة إلى بلد أوروبي آخر حيث ظروف وفرص الشغل أحسن. بالإضافة إلى ذلك، 47 % من الرجال و35 % من النساء يخططون لجلب أحد أقاربهم إلى إسبانيا.[2]

7. العوائق التي تعرقل هذا الاندماج والتعايش

1.7. صورة جد مشوهة في إسبانيا:

في مقابل هذه الصورة الإيجابية عن إسبانيا ومؤسساتها لدى المهاجرين المسلمين ولدى المسلمين الإسبان، بشكل عام، نجد صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين في إسبانيا، خصوصا بعد الأحداث الإرهابيـة التي عرفتها الولايات المتحدة الأمريكيـة ومجموعة من العواصم والمدن الأوروبية خلال سنـوات 2001، 2004، 2005، 2015، 2016، 2017 و2018م، والتي تبناها كل من تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام. إضافة إلى هذا، فقد كان للعمليات الارهابية المنفذة في مدريد سنـة 2004 (2014/03/11)، وفي برشلونة سنة 2017 (2017/08/17)، انعكاسا جد سلبي على صورة الإسلام والمسلمين في إسبانيا، مما تحول إلى عائق أمام هذا الاندماج والتعايش الذي يطمحون إليه.

مـن جهـة ثانية، أدت الأزمة الاقتصادية الأخيرة التي عرفتهـا بلدان منطقة اليورو عام 2008 إلى ارتفـاع كبير في البطالة في إسبانيا ومعها ارتفـاع الخطاب العنصري والمواقف التمييزية تجاه الأجانـب، خصوصا منهم المهاجرون المسلمون ومن أصول عربية. هذه الخطابات لقيت قبولا لدى نسبة كبيرة من المجتمع الإسباني.

(1) Metroscopia, 2011, p. 7.

(2) IOE, Crisis e inmigración marroquí en España. 20072011-, Madrid, Colectivo IOE, 2012.

فاستنـادا إلى تقاريـر المرصد الإسبـاني للكراهية والعنصرية، فقد أشـارت المؤشرات الأولى للأزمـة الاقتصاديـة الأخـيرة مخـاوف الإسبان مـن منافسة المهاجريـن لهـم في الاستفادة من الخدمـات العامة، وعلى وجه الخصوص، منافستهم في فرص الشغل القليلة، بما في ذلك الإسبان الأكثر دفاعا عن الهجرة (الشباب والإسبان ذوو التوجه اليساري وكذا الإسبان ذوو المستوى العالي مـن التعليم) الذين تبنوا خطاب اليمين الإسباني المتطـرف المدافع عن «الأولوية الوطنية»[1]، أي؛ «الإسبان أولا»[2]. في هذا السياق العام، تحول الرأي العام الإسباني، في أغلبه، إلى مواقف معادية للمهاجرين بشكل عام وللمسلمين ومن أصول عربية منهم بشكل خاص.

2.7. العنصرية والإسلاموفوبيا في ارتفاع متزايد:

نتائج معظم الدراسات التي أجريت منذ عام 2010 تشير إلى أنه، بعد عامين من بداية الأزمة الاقتصادية الأخيرة لسنة 2008، 43 % من الإسبان يؤيدون طرد المهاجرين إلى بلدانهم الأصلية في حالـة استمرار ارتفـاع معدل البطالة في إسبانيـا[3]. كما ارتفعت مؤشـرات الإسلاموفوبيا بين عامي 2011 و2016، حيث وصلت نسبة الإسبان المعارضين لبناء المساجد والمؤيدين لطرد الطالبات المحجبـات من المدارس إلى 49 % من مجمـوع المستجوبين، كما ارتفعت نسبة المناهضين للهجرة، خصوصـا منهـا القادمة مـن البلدان العربيـة الإسلامية، لتصـل في أعقاب الأزمـة الاقتصادية الأخـيرة إلى 37 %[4]. فوفقًا لتقديرات المنظمة غـير الحكومية المناهضة للتعصب Movimiento Contra la Intolerancia (MCI) والوكالـة الأوروبيـة للحقوق الأساسيـة (FRA) وتلك الخاصة

(1) Cea D'Ancona et al, Evolución del racismo y la xenofobia en España. Informe 2010, Madrid, Observatorio Español del Racismo y la Xenofobia, 2010, p. 9.

(2) «الإسبان أولا» (los españoles primero): أحد شعارات اليمين الإسباني المتطرف المدافع عن «الأولوية الوطنية». وهو شعار لا يختلف وشعارات اليمين المتطرف الشعبوي في باقي دول أوروبا. وأحزاب اليمين المتطرف الشعبوي في أوروبا تتبنى نفس طرح دونالد ترامب بالولايات المتحدة الأمريكية الذي تبنى سياسة «الأولوية الوطنية» (America First).

(3) IOE, Crisis e inmigración marroquí en España. 2007-2011, Madrid, Colectivo IOE, 2012.

(4) PCCI, Informe anual sobre la islamofobia en España 2016, Madrid, Plataforma Ciudadana Contra la Islamofobia, 2017. Disponible en ligne: http://www.observatorioislamofobia.org/wp-content/uploads/2018/03/Informe-Islamofobia-en-Espa%C3%B1a.-PCCI-Informe-Anual-2018.pdf

[آخر تصفح: 2019/02/09]

بالمعهد الجامعي لدراسات الهجرة (IUEM) التابع للجامعة البابوية كومياس ICAI-ICADE، منذ بداية الأزمة الاقتصادية تم تسجيل متوسط سنوي يقدر بـ 12.000 حالة تمييز وجرائم كراهية ارتُكبت في حق أشخاص أو مجموعات موصومة مثل المسلمين أو المهاجرين أو المهاجرين ذوو الملامح العربية. كما أن العديد من المساجد والمتاجر والشركات الصغرى لمهاجرين من أصل مغربي كانت هدفا لهجمات وتهديدات مجموعات عنصرية منظمة .[1]

3.7. ظهور أحزاب شعبوية معادية للإسلام والمسلمين:

هذا التحول لدى الرأي العام الإسباني نحو المواقف المعادية للمهاجرين، وخاصة منهم القادمون من بلدان عربية وإسلامية، تصاعد بشكل ملحوظ خلال العامين الماضيين، وخاصة بعد دخول الحزب اليميني المتطرف «فوكس» Vox لأول مرة إلى البرلمان الإقليمي لإقليم أندلسيا- الأندلس وحصوله على اثنا عشر مقعدا، على اثر الانتخابات الإقليمية لسنة 2018م، وكذا حصوله على ثلاثة وخمسين مقعدا في مجلس النواب الإسباني وفوزه بمقاعد في العديد من المجالس البلدية بعد الانتخابات التشريعية والبلدية لعام 2019م. هذا الحزب السياسي لا يخفي سياسته المناهضة للمهاجرين العرب والمسلمين ولتواجد الإسلام في إسبانيا، والتي تظهر بوضوح في برامجه الانتخابية للانتخابات الإقليمية والتشريعية والبلدية[2] والأوروبية[3] لعامي 2018 و2019.

موقف حزب «فوكس» من الإسلام والمسلمين لخصه في وثيقته «100 اقتراح للعيش في إسبانيا»، والتي ضمنها في الفصل المعنون بـ «الدفاع والأمن والحدود»، في إشارة واضحة إلى أن العلاقة مع الإسلام والمسلمين يجب التعامل معها من منظور أمني ودفاعي. ويشمل أربعة تدابير:

(1) MCI, Informe Raxen. Racismo, Xenofobia, Antisemitismo, Islamofobia, Neofascismo y otras manifestaciones relacionadas de Intolerancia a través de los hechos. Especial 2015 (I), Madrid, Movimiento contra la Intolerancia, Madrid, 2016, p. 26.

(2) البرنامج الانتخابي الذي تقدم به حزب «فوكس» للانتخابات البلدية/المحلية لسنة 2019 يمكن تصفحه في الرابط التالي:
https://www.voxespana.es/wp-content/uploads/2019/05/Programa-Municipales-2019-1.pdf
[آخر تصفح: 2019/01/11]

(3) البرنامج الانتخابي الذي تقدم به حزب «فوكس» للانتخابات الأوروبية لسنة 2019 يمكن تصفحه في الرابط التالي:
https://www.voxespana.es/wp-content/uploads/2019/05/Programa-Europeas-2019_web.pdf
[آخر تصفح: 2019/01/11]

1. إغلاق المساجد الأصولية وطرد الأئمة الذين ينشرون التطرف ويتبنون آراء محتقرة للنساء أو يدعون للجهاد.
2. حظر فتح المساجد التي تتبناها جهات وهابية أو سلفية أو التي تتبنى فهما متطرفا للإسلام. اشتراط مبدأ المعاملة بالمثل عند فتح أماكن العبادة. رفض وحظر تمويل بلدان أجنبية لأماكن العبادة على الأراضي الإسبانية.
3. مطالبة المسؤولين عن الدين الإسلامي في إسبانيا بالتعاون المطلق في الكشف عن المتطرفين. استبعاد تعليم الإسلام في المدارس العمومية.
4. تعزيز حدودنا. بناء حائط في سبتة ومليلية [لمنع المهاجرين من دخول التراب الإسباني]. منح الشرطة والقوات المسلحة جميع الموارد المادية والبشرية لتمكينهم من إدارة حدودنا بكفاءة تامة، فضلاً عن الحماية القانونية [...]. تعديل القانون لحذف تقادم الجرائم التي لها علاقة بالإرهاب الانفصالي والإسلامي [...][1](*).

حزب «فوكس» لم يتوقف عند هذا الحد بل اقترح أيضًا تغيير الاحتفال بعيد الأندلس (يوم أندلسيا-الأندلس Día de Andalucía) إلى يوم الثاني من شهر يناير[2]، وهو اليوم الذي يخلد فيه اليمين الكاثوليكي المتطرف الإسباني ذكرى الاستيلاء على غرناطة وبداية عمليات طرد المسلمين من أندلسيا-الأندلس (02 يناير-كانون ثاني من سنة 1492م)، بدلا من تاريخ 28 فبراير، العطلة الحالية لإقليم أندلسيا-الأندلس، والذي يخلد ذكرى الاستفتاء الإقليمي المنظم بالمحافظات الثمانية للإقليم يوم 28 فبراير من سنة 1980[3] للتصويت على حق الإقليم

(1) وثيقته «100 اقتراح للعيش في إسبانيا» التي قدمها حزب «فوكس» خلال الانتخابات التشريعية لسنة 2019، والتي شكلت العمود الفقري لبرنامجه الانتخابي الذي عاهد ناخبيه بتطبيقه، يمكن الاطلاع عليها في الرابط التالي:
https://www.voxespana.es/biblioteca/espana/2018m/gal_c2d72e181103013447.pdf
[آخر تصفح: 2019/01/11]

(*) ترجمتنا نقلا عن المصدر باللغة الإسبانية.

(2) يومية «الجريدة» الإسبانية ليوم 2019/01/09. يمكن الاطلاع على الخبر في النشرة الاليكترونية للجريدة في الرابط التالي:
https://www.eldiario.es/politica/Vox-Dia-Andalucia-enero-Reconquista_0_854965203.html
[آخر تصفح: 2019/01/11]

(3) انظر بلاغ حكومة أندلسيا-الاندلس الاقليمية المنشور على الموقع التالي:

في الاستفادة من الجهوية الموسعة المنصوص عليها في الدستور الإسباني المصادق عليه سنة 1978م.

أما بالنسبة للمهاجرين عمومًا، فحزب «فوكس» يقترح طرد «52.000 مهاجر غير شرعي»، وكذلك «إلغاء المساعدات الاجتماعية للمهاجرين غير الشرعيين» من أجل «ثني باقي المهاجرين عن محاولة الهجرة إلى إسبانيا في المستقبل بطريقة غير شرعية [...]»[1].

في علاقة بنفس الاقتراح، دعا الحكومة إلى نزع الشرعية القانونية عن المنظمات غير الحكومية التي تساعد المهاجرين الموجودين في وضعية غير قانونية، متهما إياها بـ «تشجيع الهجرة الغير قانونية [...]»[2].

آخر مبادرات هذا الحزب المناهضة للهجرة تعود إلى يوم 11 سبتمبر-أيلول 2019م، حيث تقدم بـ «اقتراح قانون» Proposición No de Ley للبرلمان الإسباني لإلزام الحكومة الإسبانية ببناء حائط عازل «ذو سمك ومقاومة وارتفاع يجعله مستحيل الاختراق على الحدود بين سبتة ومليلية مع المغرب». كذلك يريد «إشراك الجيش في مراقبة الحدود مع المغرب»[3]. وهذا الاقتراح يستحيل تنفيذه نظرا لانعكاساته السلبية على علاقات «الصداقة وحسن الجوار» والتعاون التي تجمع إسبانيا بالمغرب منذ توقيع «اتفاقية حسن الجوار» بين البلدين سنة 1991[4] وكذا لانعكاساته

https://web.archive.org/web/20091223232913/http://www.andaluciajunta.es/especiales/aj-declaracion-28f2007.html

[آخر تصفح: 2019/01/12]

(1) يومية «لافانغواردیا» (الطليعة) ليوم 2019/01/08. يمكن الاطلاع على الخبر في النشرة الاليكترونية للجريدة في الرابط التالي:
https://www.lavanguardia.com/politica/20190108/454017315703/vox-ley-violencia-machista-pp-andalucia.html

[آخر تصفح: 2019/01/12]

(2) نفسه.

(3) يومية «إلبّاييس» (البلد) ليوم 2019/09/13. يمكن الاطلاع على الخبر في النشرة الاليكترونية للجريدة في الرابط التالي:
https://elpais.com/politica/2019/09/12/actualidad/1568311852_492923.html

[آخر تصفح: 2019/01/12]

(4) «معاهدة الصداقة وحسن الجوار والتعاون بين مملكة إسبانيا والمملكة المغربية» نشرت بالجريدة الرسمية رقم 49 بتاريخ 26 فبراير 1993، صفحات: 6311-6314. يمكن الاطلاع عليه في الموقع الرسمي للجريدة الرسمية الإسباني:

المحتملة على المصالح الاقتصادية الإسبانية في المغرب حيث تعتبر إسبانيا الشريك التجاري الأول للمغرب منذ سنة 2012م. فللعام السادس على التوالي احتفظت إسبانيا بمركزها كأول شريك تجاري للمغرب مع رقم مبيعات تضاعف سنة 2019 ليصل إلى أكثر من 14.000 مليون يورو، وعدد شركات التصدير الإسبانية إلى المغرب فاق 20.000 شركة سنة 2018، حسب إحصائيات المكتب التجاري الإسباني، مما يمثل 10 % من عدد الشركات المصدرة إلى العالم.[1]

من خلال تتبعنا للموضوع، لاحظنا أن خطاب «فوكس» على مدى السنوات الثلاث الماضية (2015-2018) قد أثر سلبا على صورة المسلمين والإسلام لدى نسبة كبيرة من المجتمع الإسباني. وهذا ما تؤكده آخر التقارير الصادرة عن المنظمة الدولية SOS Racismo والمنظمة الإسبانية Plataformaforma Ciudadana Contra la Islamofobia (PCCI).

فالتقرير السنوي الأخير لمنظمة PCCI عن «الإسلاموفوبيا في إسبانيا» لسنة 2018م يؤكد تزايد الكراهية تجاه المسلمين والإسلام وارتفاع حدة التشهير بهم في أوساط زعماء الأحزاب السياسية المحافظة واليمينية واليمينية المتطرفة. كما يؤكد الدور النشط جدًا للجماعات اليمينية المتطرفة والنازية الجديدة المعادية للمسلمين والإسلام وكذلك زيادة كبيرة في عدد الهجمات ضد المساجد في عدة مناطق من إسبانيا.

هذا، إضافة إلى ارتفاع - ما يمكن ان نصطلح عليه بـ«إسلاموفوبيا النوع»-، حيث تضاعف عدد الهجمات ضد النساء المسلمات والتمييز الاجتماعي ضدهن في المدرسة وفي أماكن الشغل بسبب عدم قبول الطالبات والعاملات المحجبات. كما تواصل جرائم الإنترنت ارتفاعها حيث تمثل 70 % من الحوادث التي تم الإبلاغ عنها في تقرير المنظمة الإسبانية PCCI لسنة 2018 م. فبين سنتي 2014 و2016م ارتفعت حالات الإسلاموفوبيا بشكل ملفت، حيث ارتفعت من 49 إلى 546 حالة. أي أنها في ظرف ثلاث سنوات سجلت ارتفاعا بنسبة حوالي 1200 %. من بين 546 حالة مسجلة سنة 2018، 21 % كانت ضد النساء، 4 % ضد الأطفال، 7 % ضد المساجد، 8 % ضد

(1) يومية «إلديايريو» (الجريدة) ليوم 2019/02/22. يمكن الاطلاع على الخبر في النشرة الاليكترونية للجريدة في الرابط التالي:

https://www.eldiario.es/economia/Espana-comercial-Marruecos-avanzar-inversion_0_866863524.html

[آخر تصفح: 2019/01/12]

الرجال، 3 % ضد أشخاص تم تحديدهم كمهاجرين (سوريون وعراقيون ومغاربة بشكل أساسي) و4 % ضد غير المسلمين.[1]

إن انتشار رسائل التخويف من الإسلام على الإنترنت، وخاصة على شبكات التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية، أمر مثير للقلق. هذه الرسائل، التي استفادت من بعض الأحداث وكذا من جهل وضعف المستوى الثقافي لنسبة كبيرة من مستعملي وسائط التواصل الاجتماعي من الإسبان، تجرد المسلمين من إنسانيتهم وتشوه سمعتهم كما تضعهم موضع شبهة لدى كل الإسبان.

التقرير السنوي لعام 2018م حول «العنصرية في الدولة الإسبانية»، الذي أنجزته المنظمة الدوليةSOS Racismo [2]، والذي خصص عدة فصول لنتائج تتبعه لعناوين أخبار وسائل الإعلام الإسبانية، واستقبال المهاجرين على الحدود الإسبانية-الفرنسية (حدود إيرون) والذي يجمع مختلف الشكاوى المسجلة في مكتب الاستعلامات والشكايات (OID)، يؤكد بدوره، نتائج «التقرير السنوي عن الإسلاموفوبيا في إسبانيا» ويعرب عن نفس المخاوف.

8. خاتمة

لكل ما سبق، يجب اتخاذ تدابير سياسية وتشريعية في إسبانيا لمكافحة واستئصال التمييز والخطاب العنصرين وجرائم الكراهية ذات الطابع الإسلاموفوبي. أولاً، يجب تبني تدابير تربوية وتثقيفية بتنسيق مع جمعيات المجتمع المدني والمنظمات التطوعية، بما في ذلك جمعيات المسلمين الإسبان ومنظمات المسلمين المهاجرين المقيمين في إسبانيا. ثانياً، من الضروري الاستثمار في الحملات التحسيسية والتوعوية وإذكاء الوعي وفقًا لتوصيات اليونسكو ومنظمة الأمن والتعاون الأوروبية OSCE والمؤسسات الأوروبية ذات الاختصاص في هذا المجال، وخاصة الوكالة الأوروبية للحقوق الأساسية (FRA). ثالثًا، يجب استعادة الماضي التاريخي لإسبانيا، مع إبراز مساهمة الإسلام كثقافة وكحضارة في تقدم ورقي إسبانيا وأوروبا، وعبرهما، الإنسانية ككل. وأخيراً، يجب تحفيز وتشجيع مشاريع ومبادرات «الدبلوماسية الثقافية» بين إسبانيا والدول العربية-الإسلامية

(1) PCCI, Informe anual sobre la islamofobia en España 2016, Madrid, Plataforma Ciudadana contra la Islamofobia, 2018, p. 5.

(2) SOS Racismo, Informe Anual 2018 sobre el racismo en el estado español, Donostia-San Sebastián, Federación SOS Racismo, 2019. Disponible en ligne: https://sosracismo.eu/wp-content/uploads/2018/11/Informe-prensa.pdf

[آخر تصفح: 2019/01/19]

بمشاركـة منظمات المجتمع المدني والمواطنين الأسبان والمسلمين المقيمين في إسبانيا بهدف تعريف المواطنـين الإسبان بالمسلمين والإسـلام، شعوبا وثقافة وحضارة، وبناء جسـور التقارب والتفاهم والحوار والتعايش بين الشعبين والثقافتين والحضارتين، العربية والإسبانية.

مـن جهة ثانية، علـى جمعيات المسلمين في إسبانيا واتحاداتهم ان تقـوم بالدور المنوط بها من أجـل توعيـة وتحسيس المسلمـين الإسبان ومـن أصول مهاجـرة بأهمية العيش المشـترك مع باقي الديانـات والثقافـات في إسبانيا. أولا، عليهـا أن تشرف على دورات تكوينيـة لأئمة المساجد، بدءا من تعليمهم اللغة الإسبانية وتذكيرهم بأهمية وقيمة التعايش في الإسلام ثم تكوينهم في المجالات التي لها علاقة باحترام التعدد الديني وحقوق الانسان والمساواة بين الرجل والمرأة واحترام حقوق الطفولة وتجنب الخطاب المحرض على العنف والكراهية وتذكيرهم بأن استعمال بعض «المفاهيم» في خطـب الجمعـة مثـل «دار الإسـلام» و«دار الكفـر» تعتبر خارج الزمـان والمـكان وتتنافى وقيم الإسلام السمحة الداعية إلى العيش المشترك واحترام الاختلاف. ثانيا، على المفوضية الإسلامية بإسبانيا أن تكون في مستوى تحديات المرحلة التي يعيشها الإسلام والمسلمون في إسبانيا وفي الغرب بشـكل عـام، منـذ الاحـداث الارهابية التـي عرفتها الولايـات المتحـدة الامريكية سنـة 2001م، وأن تكـون في مسـتوى تطلعات المسلمين في إسبانيـا. أولا: عليها أن تـرأب صدعها الداخلي وذلك بتجديد هياكلها التسييرية التي لم تتغير منذ ثمان وعشرين سنة، أي منذ تأسيسها. هذا التجديد يجـب أن يراعـي منطـوق القانـون الأساسي للمفوضيـة والقوانـين الإسبانية المنظمـة للجمعيات والمؤسسات الغير النفعية. أي يجب أن يكون بطريقة تشاورية وديمقراطية. ثانيا: عليها أن تتصالح مـع تمثيليات المسلمين في إسبانيا وأن تكون حاضنة لكل جمعيـات واتحادات المسلمين دون اقصاء أو تهميش وأن تكرس طاقتها لتمثيل مسلمي إسبانيا امام مختلف المؤسسات الإسبانية والدفاع عن حقوقهـم وصون مكتسباتهم والتصدي للخطاب الإسلاموي في الـذي يستغل هذا الانقسام والتشتت في أوساط المسلمين بإسبانيا للتشهير بالإسلام مُقْرنا غياب الديمقراطية الداخلية بمثل هذه الهيئات والرئاسـة لها مدى الحيـاة بـ«الثقافة الإسلامية». من هنا يفترض اعطاء العبرة بتسيير المفوضية وباقـي جمعيات واتحـادات جمعيات المسلمين بطريقة تحـترم فيها الديمقراطيـة الداخلية عملا بمقتضيـات القوانين الإسبانيـة الضامنة للديمقراطية التشاركية وللتمثيـل الفعلي للشباب والمرأة في هياكل كل التنظيمات والجمعيات الأهلية والتطوعية.

9. مصادر ومراجع البحث

1.9. كتب وتقارير وأبحاث:

1- Antonio Domínguez Ortiz; Bernard Vincent, Historia de los moriscos. Vida y tragedia de una minoría, Madrid, Alianza Editorial, 1993.

2- Cea D'Ancona et alii, Evolución del racismo y la xenofobia en España. Informe 2010, Madrid, Observatorio Español del Racismo y la Xenofobia, 2010.

3- CIS, Barómetro de mayo 2005. Madrid, Centro de Investigaciones Sociológicas, 2005.

CIS, Barómetro de mayo 2017. Madrid, Centro de Investigaciones Sociológicas, 2017.

4- CIS. Barómetro de mayo 2018. Madrid, Centro de Investigaciones Sociológicas, 2018.

5- CIS, Barómetro de mayo 2019. Madrid, Centro de Investigaciones Sociológicas, 2019.

6- Constitución Española. Boletín Oficial del Estado, 29 de diciembre de 1978, núm. 311, pp. 29313 a 29424.

7- Embajada de Estados Unidos en España y Andorra, Informe internacional sobre libertad religiosa. España 2017, Madrid, Unidad de Análisis y Estudios, 2018.

8- Graciela Malguesini, Anuario CIP 1992-93: Retos del fin de siglo. Nacionalismo, migración, medio ambiente, Barcelona, CIP-Icaria, 1993, p. 235-257.

9- Henry Kamen, La Inquisición Española. Una revisión histórica (3ª edición), Barcelona, Crítica, 2011.

10- INE, Encuesta Nacional de Inmigrantes 2007, Madrid, Instituto Nacional de Estadística, 2008.

11- IOE, Crisis e inmigración marroquí en España. 2007-2011, Madrid, Colectivo IOE, 2012.

12- IOE, «La inmigración extranjera en España», La inmigración extranjera en España. Los retos educativos, Barcelona, Fundación La Caixa, 1999.

13- IOE, Los inmigrantes en España, Madrid, Cáritas Española, 1987.

14- IOM-OIM, Global Migration Indicators 2018, Berlin, International Organization for Migration (IOM), 2018b.

15- ONU, Estado de la Población Mundial 2006, Nueva York, Fondo de Población de las Naciones Unidas (UNFPA), 2006.

16- IOM-OIM, World migration 2008. Managing labour mobility in the evolving global economy. Volume 4. International Organization for Migration, Geneva, 2008.

17- ONU, Migrations internationales et développement Rapport du Secrétaire Général, Assemblée Générale. Soixante et onzième session. Document: A/71/296, 2016.

18- IOM-OIM, Etat de la migration dans le monde 2018, Genève, Organisation Internationale pour les Migrations (OIM), 2018a.

19- IOM-OIM, Migration data portal. Total number of international migrants, Berlin, IOM's Global Migration Data Analysis Centre, 2007. Disponible en ligne: https://migrationdataportal.org/?i=stock_abs_&t=2017&m=1

20- Joan Estruch et al, Las otras religiones. Minorias religiosas en Cataluña, Barcelona, Icaria editorial, Colección: Pluralismo y Convivencia, 2006

21- Leandro Martínez Peñas; Alicia Herreros Cepeda, «El desplazamiento de los moriscos tras la rebelión de las Alpujarras: contexto político, estratégico y militar de una migración forzosa». En F. J. García Castaño y N. Kressova. (Coords.). Actas del I Congreso Internacional sobre Migraciones en Andalucía, 2011, (pp. 2073-2082).

22- Marie Françoise Durand et al, Atlas de la mondialisation, Paris, SciencesPo. Les Presses, 2008.

23- MCI, Informe Raxen. Racismo, Xenofobia, Antisemitismo, Islamofobia, Neofascismo y otras manifestaciones relacionadas de Intolerancia a través de los hechos. Especial 2015 (I), Madrid, Movimiento contra la Intolerancia, Madrid, 2016.

24- Metroscopia, La Comunidad Musulmana de origen inmigrante en España. Encuesta de opinión, Madrid, Ministerio del Interior, Ministerio de Justicia y Ministerio de Trabajo e Inmigración, 2007.
25- Metroscopia, La Comunidad Musulmana de origen inmigrante en España. Encuesta de opinión, Madrid, Ministerio del Interior, Ministerio de Justicia y Ministerio de Trabajo e Inmigración, 2008.
26- Metroscopia, La Comunidad Musulmana de origen inmigrante en España. Encuesta de opinión, Madrid, Ministerio del Interior, Ministerio de Justicia y Ministerio de Trabajo e Inmigración, 2009.
27- Metroscopia, La Comunidad Musulmana de origen inmigrante en España. Encuesta de opinión, Madrid, Ministerio del Interior, Ministerio de Justicia y Ministerio de Trabajo e Inmigración, 2010.
28- Metroscopia, La Comunidad Musulmana de origen inmigrante en España. Encuesta de opinión, Madrid, Ministerio del Interior, Ministerio de Justicia y Ministerio de Trabajo e Inmigración, 2011.
29- Míkel de Epalza. Los moriscos antes y después de la expulsión, Alicante, Biblioteca Virtual Miguel de Cervantes, 2001.
30- Ministerio de Justicia, Informe Anual sobre la Situación de la Libertad Religiosa en España 2017, Madrid, Ministerio de Justicia. Secretaría General Técnica, 2018.
31- Mohammed Dahiri, «La inmigración en España entre los tópicos y la realidad », Diversidad Cultural, Identidad y Ciudadanía, Coord. Javier de Prado Rodríguez, Córdoba, Instituto de Estudios Transnacionales, 2001, p. 109-119
32- OPI, Extranjeros residentes en España 31 de diciembre de 2018. Principales resultados, Madrid, Ministerio de Trabajo. Ministerio de Trabajo, Seguridad Social y Migraciones, 2019.
33- Pascual Boronat y Barrachina, Los moriscos españoles y su expulsión. Valencia: Imprenta de Francisco Vives y Mora, 1901, V 1.
34- PCCI, Informe anual sobre la islamofobia en España 2016, Madrid, Plataforma Ciudadana Contra la Islamofobia, 2017.
35- Résolution du 23 Avril 1996, du sous-secrétariat au Ministère de la Présidence, disposant la publication de l´accord du Conseil des Ministres du 1er Mars 1996, et la convention concernant la désignation et le régime économique des personnes chargées de l´enseignement religieux islamique dans les établissements scolaires publics d´éducation primaire et secondaire. Boletín Oficial del Estado (BOE) nº 107, de 3 de mayo de 1996, p. 15597 – 15598. Disponible en ligne: https://www.boe.es/diario_boe/txt.php?id=BOE-A-1996-9864
36- Saskia Sassen, Migranti, coloni, refugiati. Dell emigrazione di massa alla fortezza Europa, Milán, Feltrinelli, 1999, p.78UCIDE, Estudio demográfico de la población musulmana, Madrid, UCIDE, 2019, p. 12-14.
37- Sol Tarrés. «Musulmanes en Melilla: apuntes etnohistóricos», Awraq, nº 10, 2014, pp. 141-162.
38- SEEA, Al-Andalus y el mundo árabe (711-2011): visiones del arabismo, Almería, Sociedad Española de Estudios Árabes, 2012.
39- SOS Racismo, Informe Anual 2016 sobre el racismo en el estado español, Donostia-San Sebastián, Federación SOS Racismo, 2016.
40- UCIDE, Estudio demográfico de la población musulmana Explotación estadística del censo de ciudadanos musulmanes en España referido a fecha 31/12/2018, Madrid, Observatorio Andalusí, 2019.
41- United Nations, World Economic and Social Survey 2004 International Migration, New York, United Nations, Publishing Section, 2004, p. 3-4. Disponible en ligne:
42- https://www.un.org/en/development/desa/policy/wess/wess_archive/2004wess_part2_eng.pdf
43- United Nations: Trends in International Migrant Stock: The 201. CD-Rom Documentation, New York, Department of Economic and Social Affairs Population Division, 2015. Disponible en ligne: https://www.un.org/en/development/desa/population/migration/data/estimates2/docs/MigrationStockDocumentation_2015.pdf

44- Vox, 100 medidas para la España Viva, Madrid, Vox, 2019. Disponible en ligne: https://www.voxespana.es/biblioteca/espana/2018m/gal_c2d72e181103013447.pdf

2.9. دساتير، قوانين، معاهدات واتفاقيات دولية:

45- الدستور الإسباني المصادق عليه يوم 6 دجنبر من سنة 1978، والمنشور بالعدد 311 «الجريدة الرسمية»، الصادرة بتاريخ 29 دجنبر 1978، صفحات: 29313-29424

46- «معاهدة الصداقة وحسن الجوار والتعاون بين مملكة إسبانيا والمملكة المغربية» نشرت بالجريدة الرسمية رقم 49 بتاريخ 26 فبراير 1993، صفحات: 6311-6314. يمكن الاطلاع عليه في الموقع الرسمي للجريدة الرسمية الإسباني.

47- قرار الكتابة الفرعية لوزارة الرئاسة الصادر بتاريخ 23 أبريل-نيسان 1996، والذي بموجبه يتعين نشر اتفاق مجلس الوزراء المنعقد يوم 1 مارس-آذار 1996 وكذا الاتفاقية المتعلقة بتنصيب وكذا بالنظام الاقتصادي للأشخاص المكلفين بتعليم الدين الإسلامي في المؤسسات التعليمية العمومية للتعليم الابتدائي والثانوي. تم نشره بالعدد 107 للجريدة الرسمية، بتاريخ 3 ماي-آذار1996، صفحات: 15597-15598.

48- المرسوم الملكي رقم 2011/1384، نُشر بالعدد 255 للجريدة الرسمية، بتاريخ 22 أكتوبر 2011، صفحات: 110426-110427.

49- اتفاقية تعاون الدولة الإسبانية مع اللجنة الإسلامية لعام 1992 (القانون 1992/26)، الموقعة في 10 نوفمبر من عام 1992. نُشر بالعدد 272 للجريدة الرسمية، بتاريخ 12 نونبر 1992، صفحات: 38214-38214.

3.9. الجرائد الإسبانية اليومية:

50- يومية «إلدياريو - El Diario» (الجريدة) ليوم 2019/02/22.

51- يومية «لافانغورديا - La Vanguardia» (الطليعة) ليوم 2019/01/08.

52- يومية «إلبّاييس - El País» (البلد) ليوم 2019/09/13.

53- يومية «إلبّاييس - El País» (البلد) ليوم 2016/03/17.

4.9. المواقع الاليكترونية :

https://www.webislam.com/
http://www.observatorioislamofobia.org/
http://www.observatorioreligion.es/
https://www.un.org/
https://migrationdataportal.org/
https://web.archive.org/
http://hrlibrary.umn.edu/
https://es.usembassy.gov/
https://www.religionenlibertad.com/
http://www.cervantesvirtual.com/
http://www.ine.es/
https://www.voxespana.es/
https://www.boe.es/
https://sosracismo.eu/
https://eldiario.es/
https://www.lavanguardia.com/
https://elpais.com/

History of Islam and Muslims in Spain: Managing Difference and the Challenge of Coexistence •

DR. MOHAMMED DAHIRI • •

Abstract

This study addresses the issue of Islam and Muslims in Spain and how the Spanish state manages religious diversity. After presenting the issue in relation to migration, we try to analyze the close relationship between Islam and Spain from the arrival of Islam to al-Andalus (711) until today (2019). We also discuss religious freedom and belief in the Spanish legal framework since the ratification in 1967 of the first Spanish law that recognizes freedom of belief and regulates freedom of worship and state relations with all religions. We also studY and analyze the reality of Muslims and Islam in Spain.

In view of its close relationship to the subject of our research, we have allocated an important space to the problem of integration and coexistence and its obstacles.

The study reached several results and recommendations aimed at building bridges of rapprochement, understanding, dialogue and coexistence between Muslims and other religions and cultures in Spain, among them:

- Adopting educational measures in coordination with civil society associations and voluntary organizations to combat and eradicate discrimination, racist rhetoric and hate crimes against Muslims.
- Reclaiming the historical past of Spain, while highlighting the contribution of Islam as a culture and as a civilization to the progress of Spain and Europe, and across them, all humanity.
- Motivating and encouraging «cultural diplomacy» projects and initiatives between Spain and the Arab-Islamic countries with the aim of introducing Spanish citizens to Muslims, Islam, people, culture and civilization.
- Organizing Muslim associations in Spain and their unions to raise awareness and sensitization campaigns for Spanish Muslims of immigrant background on the importance of co-existence with other religions and cultures in Spain, as well as supervising training sessions for imams of mosques, starting with teaching them the Spanish language and reminding them of the importance and value of coexistence in Islam, then training them in areas related to respecting religious diversity and avoiding discourse that incites violence and hatred.

Keywords: Al Andalus, Islam in Spain, Muslims in Spain, Islamophobia, Managing the difference, diversity management, coexistence.

• Research undertaken within the framework of the Research Project «Integration Mapping of refugee and Migrant Children in Schools and Other Experiential Environments in Europe (IMMERSE)». (H2020-SC6-822536-IMMERSE). European Commission. Horizon 2020 -Research and Innovation Framework Programme-. financiado por la Comisión Europea (Duración: diciembre 2018-noviembre 2022).

• • Professor – researcher. department of Arabic and Islamic Studies Faculty of philology complutense University of Madrid (UCM).